انما هو اله واحد كأنه كلام من عملنا وهو مبتداء والله خبره وواحد صفته انكر الله تعالى اولا
القول بالاشراك بالاستفهام الانكاري ثم اكد ذلك واوجب القول بالتوحيد من ثلثة اوجه
اولها قوله قل لا اشهد وثانيها قوله قل انما هو اله واحد باداة الحصر والتصريح بلفظ واحد و
ثالثها قوله وانني بريء مما تشركون فانه صريح في التبرء عن اثبات الشركاء فلذلك قال العلماء
يستحب لمن اسلم ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ عن كل دين سوى دين الاسلام ونص الشافعي
رحمه الله على استحباب ضم التبري الى الشهادتين لقوله تعالى وانني بريء مما تشركون عقيب
التصريح بالتوحيد قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه لما انكر اليهود والنصارى دلالة التورية
والانجيل على نبوة رسول الله صلعم وزعموا ان ليس لهم في كتابهم ذكر ولا صفة فقال له عليه السلام
قريش من يشهد لك انك رسول الله وقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس عندهم في كتابهم ذكرك فامر
الله تعالى ان يقول لهم الله يشهد لي بالرسالة ولا احد اكبر شهادة منه وان شهادته كافية في اثبات
نبوتي لمن القى السمع وهو شهيد وبين في هذه الآية انهم كذبوا في قولهم انا لا نجد في كتابنا ما يدل على نبوته
وانه ليس له في كتابنا ذكر ولا صفة حيث قال انهم يعرفونه بالنبوة والرسالة كما يعرفون ابناءهم
روي انه عليه السلام لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انزل الله تعالى هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم فما وجه هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد
عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابني ولأنا اشد معرفة بمحمد صلعم مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء
واشهد انه صادق امين مرسل من الله تعالى قوله الذين خسروا انفسهم الظاهر انه مبتداء
وقوله فهم لا يؤمنون خبره دخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط فان تضييع المشركين واهل
الكتاب ما به يكتسب الايمان وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان يترتب عليهم
عدم الايمان كما يترتب الجزاء على الشرط قوله منصوب بمضمر يعني ان يوم ظرف لمضمر بعده اي يوم
المفترين على الله الكذب او يوم نحشر الناس فيدخل المفترين فيهم دخولا اوليا يكون كيت وكيت وحذف
ناصب الظرف ليكون ابلغ في التخويف فان ابهام ما يقع في اليوم يدل على انه لغاية هوله وشدته
لا يمكنه كنهه ولا ايراده وقوله ثم نقول للذين اشركوا من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر
الى جعل الضمير المنصوب في نحشرهم للمفترين اذ الاصل ثم نقول لهم وانما اظهر تصريحا بعنا؛ التقريع و
التبكيت

التبكيت واضافة الشركاء اليهم للدلالة على ان توهم الشركة مختص بهم قوله ولعله يحال بينهم وبين
ان اللازم للاستفهام عن مكان الشركاء بأين ان يكون الشركاء غائبين عن زعم انهم شركاء الله ويبعد
ان يقال في حق من زعم المخاطب كونه شريكا لله تعالى اين زعمه شريكا لله فلذلك قال ولعله يحال بينهم و
بين الهتهم ليتحقق ولطافي الساعة التي علقوا الرجاء بشفاعتهم ثم قال ويحتمل ان يشاهدوهم
اه يعني ان الاستفهام على طريق التوبيخ لا يقتضي غيبة الشركاء حين الاستفهام بل يجوز ان يكون
التوبيخ بالاستفهام حال حضور الشركاء ومشاهدة المشركين اياهم بان يقال لهم ايما رجعتم
من منفعة شركائكم وشفعائكم توبيخا لهم بانهم لما لم ينتفعوا بشفاعتهم جعلوا كانهم غيب عنهم
فقيل لهم اين شركائكم قوله اي كفرهم فسر فتنتهم بكفرهم واشراكهم على ان يكون المراد بالفتنة افتتانهم بالاوثان
وافراطهم في محبتها وتعظيمها من قولهم فتنته المرأة اذا احبها وافرط في محبتها بحيث صيرته وادهشته
يقال للمحب الذي غلب عليه الحب حتى صيره مولها متحيرا مفتون فالمعنى ثم لم تكن عاقبة افتتانهم بكفرهم
واشراكهم وافراطهم في محبة مذهبهم وطريقتهم واصرارهم عليها الا ان تبرؤا منه وحلفوا انهم لم يكونوا على
ذلك المذهب قط روي عن الزجاج انه قال قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيه معنى لطيف
وذلك ان الله تعالى بين ان المشركين مفتونون بشركهم متهالكون على حبه فاعلم بهذه الآية انه
لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرؤا منه وتباعدوا عنه وحلفوا انهم ما كانوا مشركين
ومثاله ان ترى انسانا يحب انسانا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال
له ما كانت محبتك لفلان الا ان فررت منه اي ما كانت عاقبة محبتك الا الفرار منه فالمراد بالفتنة
افتتانهم بالكفر وعبادة الاوثان وقيل هذا المعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
لم تكن فتنتهم معناه لم تكن عاقبة شركهم في الدنيا الا التبرؤ عنه والمراد منه قوله
وقرأ ابن كثير لم تكن بالتاء الفوقانية وفتنتهم بالرفع على انها اسم كان وانما انث الفعل
لكونه مسندا الى المؤنث وقوله الا ان قالوا خبر كان وقرأ نافع ومن تبعه لم تكن بالتاء الفوقانية
ايضا الا انهم قرؤا فتنتهم بالنصب على انها خبر كان قدم على اسمها وهو قوله الا ان قالوا و
انث الفعل المسند الى مذكر وهو قوله الا ان قالوا فانه في تأويل قولهم لتأنيث خبره فانه لما اخبر عنه
بمؤنث وهي الفتنة استفاد التأنيث من خبره فان المسند والمسند اليه لما اتحدا ذاتا وصدقا كان تأنيث المسند

Copyright © King Saud University